جهود الحافظ ابن كثير في إبراز منزلة الصحابة وفضائلهم من خلال تفسيره

د. مزمل محمد عابدين محمد /أستاذ التفسير المساعد، بجامعة الإمام المهدي/

كليّة التربيّة، قسم الدراسات الإسلامية، إيميل: mozamil.abdeen194@gmail.com

هاتف: 00249122857740/ 00249122628865

ملخص البحث:

هذا البحث بعنوان جهود الحافظ ابن كثير في إبراز مكانة الصحابة ومنزلتهم العالية من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم ، وقد هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على إبراز فضائل الصحابة رضوان الله عليهم ، بما جاء في تفسير الآيات التي وردت في الثناء الله عليهم، ورضاه عنهم ، متتبعا ما ورد في سمتهم وعدالتهم، ومسارعتهم في الطاعة والانقياد، وما ذكره في الثناء على أعيان منهم، وردوده في ما أثير من شبهات حولهم، ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد خلص البحث في نتائجه إلى

- أن الصحابة كلهم عدول وأن الله عز وجل زكاهم جمعياً دون استثناء.
- نهي الإسلام عن المساس بأحد من الصحابة، أو الإساءة إليهم، أو إيذائهم بأي نوع من أنواع الأذى،
- أنه يجب الامساك عما شجر عن الصحابة فهم وإن كانوا أفضل الناس بعد الانبياء فهم غير معصومين المجتهد المصيب منهم له أجران، والمخطئ منهم له أجر واحد.
- أن الطعن فيهم طعن فيما نقلوه لنا من النصوص الشرع، وهدم الأساس هدم للبناء .

الكلمات المفتاحية: ابن كثير، فضائل الصحابة، الردود

المقدمة:

اختار الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أطهر الناس قلوباً، وأشرفهم نفوساً، وقد بذلوا دونه مهجتهم وأرواحهم، ، صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم فنالوا شرف الصحبة، سمعوا كلامه وشاهدوا أحواله ونقلوا ذلك إلى من بعدهم فكانوا خير السفراء ، حملوا راية الله إلى الآفاق، وكسروا شوكة أعداء الله، جبابرة الأمم وطغاتها، وفضائلهم يشهده له القران الكريم قبل السنة الشريفة .

إن الصحابة رضي الله عنهم "هم حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة ، عنهم قبل غيرهم تلقت الأمة كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فالغض من شأنهم والتحقير لهم

تحطيم للوسيلة التي وصلت مصادر التشريع بها إلينا.

وهذا أكدته نصوص الشرع الحنيف على النهي عن المساس بهم والإساءة إليهم، وإيذائهم بأي نوع من أنواع الأذى، بل ما يجب علينا الانتصار لهم ببيان فضائلهم وثناء عليهم والترضي عنهم والاستغفار لهم

وكتاب تفسير القران العظيم من أكثر الكتب المتداولة بين طلاب العلم وعامة الناس لما يحمله الكتاب من الوضوح، وسهوله المعني، وما يحمل كتابه من عقيدة السلف الصالح ومخالفته لأهل بالبدع وخير شاهد له ترضيه عن الصحابة، وبيانه لما لهم من المنزلة العالية والمكان السامي، ولذا قمت باستخراج أقواله في الصحابة من المدح والثناء في ورقة بعنوان:

منهج البحث وأداته:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، وكانت أداته تحليل محتوى الأدلة ذات الصلة بالموضوع ، وما كتبه علماء التفسير، في الكتابات القديمة والحديثة التي اعتنت، بالموضوع، بغية الوصول إلى أهداف البحث.

أهمية الدراسة:

إنّ أهمية هذا البحث تنبع من أهمية التفسير ، ولا شكّ إن تفسير ابن كثير من أجلّ الكتب التي ألفت في التفسير، والتي جمعت تفاسير الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، فهو يعد من أحسن وأصح كتب التفسير بالمأثور، إن لم يكن أحسنها وأصحها على الإطلاق لعنايته بمناقشة أسانيد
ومتون الأحاديث والآثار، إضافة إلى أنّ ابن كثير تمسك في تفسيره بعقيدة السلف في كلامه على آيات العقائد والأسماء والصفات، وموقفه المتشدد من الأخبار الإسرائيلية، كما يتعلق الموضوع بأهم ركائز نقل النصوص الشرعية من عهد النبوة الي غيرهم الدفاع عنها، وتثبتها، وأثبات للحق، ونصرة لدين الإسلام

أهداف الدراسة:

1- خدمة لتفسير ابن كثير ومؤلفه رحمه الله.

2- تسليط الضوء على ما وراء الطعن في الصحابة الكرام من طعن في الدين وهدم لمعالمه.

3- إبراز منهج الحافظ ابن كثير في الذَّب الصّحابة والذود عنهم.

4- بيان أن الصحابة كلهم عدول وأن الله عز وجل زكاهم جمعياً دون استثناء.

مشكلة البحث :

تنحصر مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي: ما جهود الحافظ ابن كثير في إبراز منزلة الصحابة وفضائلهم من خلال كتابه تفسير القرآن العظيم؟

ويتفرع منه سؤالان :

1. ما معنى الصحابي في اللغة والاصطلاح؟
2. كيف استدل ابن كثير على عدالة جميع الصحابة دون استثناء؟
3. وضح ما سطره ابن كثير في دحض ما أثير من شبهات حول الصحابة ؟

الدراسات السابقة:

1-دراسة منتصر(2015م) رسالة ماجستير

الإشارات الضمنية لفضل الصحابة الكرام في الآيات القرآنية : دراسة موضوعية، منتصر عبدالغني محمد حسن، الجامعة :جامعة أم درمان الاسلامية.

2- القول المبين في الصحابة وحقوقهم علي المسلمين ، بحث منشور في مجلة البحوث الاسلامية.

3- دراسة نصر (2011) بعنوان قواعد في التعامل مع الصحابة من حيث معرفة فضائلهم ودفع الشبهات عن تاريخهم ومعرفة الاحكام المتعلقة بهم.

خطة البحث:

المبحث الأول: في ثناء ابن كثير علي الصحابة عامة:

أولاً: ما ذكره في عدالة الصحابة:

ثانياً: ما ذكره في حسن نواياهم، واخلاصهم:

ثالثاً: ما ذكره في مسارعتهم في الطاعة والانقياد:

رابعاً: ما ذكره من خوفهم من الله وخشيتهم:

خامساً: ما ذكره سمتهم وهديهم:

سادساُ: في ذكر حرصهم للعلم ،والأعمال الصالحة:

المبحث الثاني : في الثناء علي بعض الصحابة خاصة

أولاً: ما ذكره في الثناء على السابقين الأولين منهم:

ثانياً: ما ذكره في الثناء على أهل بيعة الرضوان

ثالثاً: ما ذكره في الثناء على أهل البيت:

رابعاً: ما ذكره في مناقب بعض منهم

المبحث الثالث: ردود ابن كثير في ما أثير من شبهات حول الصحابة

أولاً: الكلام فيما شجر بينهم:

ثانياً: أقواله في التحذير من سبهم أو النّيل منهم رضي الله عنهم:

ثالثاً: في تقديمه للشيخين، وعثمان على علي- رضي الله عنهم

التمهيد

تفسير ابن كثير من أجل الكتب التي الفت في التفسير، ويعد من أحسن وأصح كتب التفسير بالمأثور، ومن أهداف الكتابة فيه: إبراز شخصية الحافظ ابن كثير وإبراز منهجه في تفسيره، ومن النتائج التي توصلت إليها في البحث: أن ابن كثير –رحمه الله– شديد العناية بتفسير القرآن بالقرآن، فتفسيره أكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة في المعنى الواحد. واعتمد في تفسيره على أكثر كتب السنة، من الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم وغيرها. والمنهج الذي رسمه ابن كثير، قد أخذه عن شيخه، شيخ الإسلام ابن تيمية. وينبّه ابن كثير إلى ما في التفسير بالمأثور من

منكرات وإسرائيليات، ويحذر منها على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

تعريف الصحابة:

لغة: (صحب) صَحِبَه يَصْحَبُه صُحْبة بالضم وصَحابة بالفتح وصاحبه عاشره، وَكُلُّ ما لَازَم شَيْئاً فَقَد اسْتَصْحَبَه[1].

والصاحب الملازم إنسانا كان أو حيوانا أو مكانا أو زمانا ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل والأكثر [2]، منه(أصحاب الكهف) ،(صاحب الحوت)عليه السلام.

اصطلاحاً : من لقي المصطفى يقظه بعد النبوة وقبل وفاته مسلما ومات على ذلك وإن تخللته ردة[1] .

([1]) أنظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، 1/ 519

([2]) أنظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة، 1/ 519

ولو لحظة، وإن كان أعمى كابن مكتوم رضي الله عنه.

يقول ابن كثير:" الصحابي من رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حال إسلام الراوي وإن لم تطل صحبته له، وإن لم يرو عنه شيئاً , هذا قول جمهور العلماء خلفاً وسلفاً[2] "

المبحث الأول: ثناء ابن كثير علي الصحابة عامة

قال مالك، رحمه الله: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: "والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا". وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ؛ ولهذا قال هاهنا: { ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ } ، ثُمَّ قَالَ: { وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ [فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ } : { أَخْرَجَ شَطْأَهُ] } أي: فراخه، { فَآزَرَهُ } أي: شده { فَاسْتَغْلَظَ } أي: شب وطال، { فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ } أي: فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع، { لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ } .

ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك –رحمه الله، في رواية عنه–بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم. الي...أن قال: " ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم"[3].

([1]) اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، عبد الرؤوف المناوي، (ت1031هـ)، تحقيق المرتضي الزين أحمد، الرياض، مكتبة الرشد،1999م، 204/1.

([2]) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل – تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1435 هـ (ص 151), وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار المعرفة – بيروت ، 1379 هـ(7/ 4).

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير(المتوفى : 774هـ) ، ، المحقق : سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية 1420هـ – 1999 م ، 7/ 363.

واليك التفصيل:

أولاً: ما ذكره في عدالة الصحابة عامة:

إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ذلك:
قوله تعالى} :وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا] {البقرة: 143]، ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن معنى كلمة (وسطا): "عدولًا خياراً مشهودا بعدالتكم عند جميع الأمم"[1] ، ومن السنة : قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (... ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب)[2] وجه دلالة الحديث على عدالتهم –رضي الله عنهم–: أن هذا القول صدر من النبي في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحدا [3] .

وقد أكد ابن كثير رحمه ذلك بقوله أن جهالة الصحابي لا يضر أي أن معرفة اسمه لا يضر؛ لأنهم كلهم عدول عندما أورد هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: عن عبد الله بن عبد الله، عن رجل من الأنصار: أنه جاء بأمة سوداء، فقال: يا رسول الله: أن علي عتق رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها، فقال لها رسول الله: "أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟" قالت: نعم. قال: "أتشهدين أني رسول الله ؟" قالت: نعم. قال: "أتؤمنين بالبعث بعد الموت ؟" قالت: نعم. قال: "أعتقها". وهذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضره[4] .

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 5/ 457.

(2) البخاري، باب ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، رقم (105).

([3]) د.علي محمد محمد الصلابي، اسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن ابي، مركز الكتاب الاكاديمي، المكتبة الشاملة 751، مفهوم عدالة الصحابة ،أبو عبد الله الذهبي، 1/ 23

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ،1/ 661

وفي شهادة الله لهم بالإيمان يقول عند قوله: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75) }

لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان[1].

وَلَمَّا حُوِّلت الْقِبْلَةُ قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْحَابُنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } [الْبَقَرَةِ:143] .

ثانياً: ما ذكره في حسن نواياهم، واخلاصهم، وتزكية الله عز وجل لهم:

فالصحابة [رضي الله عنهم] خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم[2]، وعلم علام العيوب ما في قلوبهم من صدق قوله: {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ} [الفتح:18]. يخبر تعالى بفضله ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة – التي يقال لها "بيعة الرضوان" لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها "بيعة أهل الشجرة"[3].

وأما العلامة ابن كثير فقد ذكر في قوله تعالى: {وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} قولين:

أحدهما: أن المراد بعباده الذين اصطفى هم أنبياؤه ورسله الكرام.

الثانية: أن المراد بعباده الذين اصطفى هم: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم.

ثم قال جامعاً بين القولين: ولا منافاة فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى"[4] .

---

(1) المصدر السابق، 99/4

(2) ا المصدر السابق، 7/ 362.

(3) المصدر السابق،، 1/ 793

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 245/5

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقال تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} قال طائفة من السلف: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ } (فاطر : 32-35)

عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه "قال: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: "ما زلتم هاهنا؟" قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء قال: "أحسنتم" أو "أصبتم" قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال "النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"[1].

ثالثاً: ما ذكره في مسارعتهم في الطاعة والانقياد:

وقد ذكر ابن كثير عدة أمثلة في استجابة الصحابة رضوان الله عليهم لأمر لله ورسوله، منها:

1-عند قوله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاّ لِنَعْلَمَ مَن يَتّبِعُ الرّسُولَ مِمّن يَنقَلِبُ عَلَىَ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّ عَلَى الّذِينَ هَدَى اللّهُ } الآية [البقرة : 143] ،عن ابن عمر قال: بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء رجل فقال: قد أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، فتوجهوا إلى الكعبة ، **وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله وانقيادهم لأوامر الله عز وجل** رضي الله عنهم أجمعين[2] .

رابعاً: ما ذكره من خوفهم من الله وخشيتهم:

([1])صحيح مسلم 196/4 .

([2]) المصدر السابق،، 1/ 239

قوله تعالى: { قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران : 29]، لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة، رضي الله عنهم، وخافوا منها، ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم [1].

وقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور : 55] . أي فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه, وكفى بذلك ذنبا عظيما, فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله, كان نصرهم بحسبهم أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب, وأيدهم تأييدا عظيما, وحكموا في سائر العباد والبلاد, ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم[2] .

وعند قول الله تعالى: { وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } [الأنفال: 63]. إلى آخر الآية، أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلا من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة، فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه، حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتوعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟" وتلا عليهم هذه الآية، **فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضي الله عنهم**[3]

---

(1) المصدر السابق ، 1/ 728

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 367/3

(3) المصدر السابق 1/ 416

يقول تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ} الآية ،[الفتح : 4] أي جعل الطمأنينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما وعنه: الرحمة وقال قتادة: الوقار في قلوب المؤمنين، وهم الصحابة رضي الله عنهم، يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانا مع إيمانهم، وقد استدل بها البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب[1] .

قال عند :قوله تعالى: { تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله }أنهم كان الصحابة رضي الله عنهم عند يلزمون الأدب عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **ولم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون بما** ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة[2] .

خامساً: ما ذكره سمتهم وهديهم:

فالصحابة رضي الله عنهم **خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم** فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم. وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا: {ذلك مثلهم في التوراة} ثم قال {ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه} أي فراخه {فآزره} أي شده {استغلظ} أي شب وطال {فاستوى على سوقه يعجب الزراع} أي فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع {ليغيظ بهم الكفار}[3] .

---

(1) المصدر السابق 4/ 224

(2) أنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 63

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 247

وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به, وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم, ولا يكون لأحد ممن بعدهم, فإنهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم, فتحوا القلوب والأقاليم شرقا وغربا في المدة اليسيرة, مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم, من الروم والفرس والترك والصقالية والبربر والحبوش, وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم. قهروا الجميع حتى علت كلمة الله, وظهر دينه على سائر الأديان, وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها, في أقل من ثلاثين سنة, فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين, وحشرنا في زمرتهم إنه كريم وهاب[1] .

سادساً: في ذكر حرصهم للعلم ،والأعمال الصالحة:

أورد الحديث: (عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن) [2].

1-وروي عن أنس بن مالك أنه قال: (كان الرجل منا إذا حفظ البقرة وآل عمران جل في أعيننا) أي عظم قدره [3].

2-حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه، فأنزل الله تعالى سورة الصف، ومن جملتها هذه الآية {يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم}[4] .

3- عن أبي هريرة أنه قال : قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (لقد ظننت - يا أبا هريرة - أن لا تسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما

([1]) المصدر السابق، 2/ 386

(2) المصدر السابق، 1/ 8

([3]) المصدر السابق، تفس الصفحة

([4]) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/ 433

رأيت من حرصك على الحديث اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه)[1].

وتابع عدد من العلماء الشيخين في رأيهم ولكن بقيود، فهذا ابن الصلاح (643هـ) يقول: "ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك"[2]، وقوله (نحو ذلك) أي ما كان شأنه النقل لا الرأي والعقل، وهو ما فصّله ابن حجر بقوله: "ومثال المرفوع من القول حُكماً لا تصريحاً أن يقول الصحابي –الذي لم يأخذ الإسرائيليات– ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق، وأخبار الأنبياء، أو الآتية كالملاحم والفتن، وأحوال يوم القيامة، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص، وإنما كان له حُكم المرفوع؛ لأن إخباره بذلك يقتضي مخبراً له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي موقِفاً للقائل به، ولا موقِف للصحابة إلا النبي ε، أو بعض من يخبر عن الكتب القديمة؛ فلهذا وقع الاحتراز عن القسم الثاني، فإذا كان كذلك فله حُكم ما لو (قال: قال رسول الله ε) فهو مرفوع سواء كان سمعه منه أو عنه بواسطة[3]"[4].

المبحث الثاني : في الثناء علي بعض الصحابة خاصة:

أولاً: ما ذكره في الثناء على السابقين الأولين منهم:

{ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [النحل : 41-42]

---

[1]( ) البخاري، باب الحرص على الحديث، رقم(99)

(2)ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (643هـ)، علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، المكتبة العلمية، بيروت، ط 1981م، ص45.

(3)من المسلمات أن نقل الصحابي عن صحابي آخر ولو لم يسمعه لا مطعن فيه عند العلماء؛ لأن الصحابة كلهم عدول.

(4)ابن حجر، أحمد بن علي (852هـ)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط2، 2008م، ص128-131.

يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته، الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان، رجاء ثواب الله وجزائه، ويحتمل أن يكون سبب نزول هذه الآية الكريمة في مُهاجرة الحبشة الذي اشتد أذى قومهم لهم بمكة، حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة، ليتمكنوا من عبادة ربهم، ومن أشرافهم: عثمان بن عفان، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعفر بن أبي طالب، ابن عم الرسول (7) وأبو سلمة بن عبد الأسد (8) في جماعة قريب من ثمانين، ما بين رجل وامرأة، صديق وصديقة، رضي الله عنهم وأرضاهم. وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال: { لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً }بالرزق الطيب، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا، فقال: { وَلأجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ }[1].

وقال الله عز وجل: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)) [التوبة: 100]

قال ابن كثير : يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم ، والنعيم المقيم[2] .

ثانياً: ما ذكره في الثناء على أهل بيعة الرضوان

قال الشعبي : السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية[3] .

ثالثاً: ما ذكره في الثناء على أهل البيت:

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقوله تعالى: {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} أي: في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع[4] "

([1]) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 4/ 572

([2]) المصدر السابق، 4 / 203

([3]) المصدر السابق، 4 / 203

([4]) المصدر السابق، 425/5.

فالله – عز وجل – اختارَ الصحابةَ لنبيه – صلى الله عليه وسلم – وهم خيرُ الناسِ ، وأعطاهم الأمانةَ والفقهَ والوفاءَ بالعهدِ مع الإيمانِ بالله ومخافتِهِ سبحانه ما لم يكنْ لغيرِهم، وأعظمُ ما ينصرِفُ إليه الخيريَّةُ في أصحابِ النبي – صلى الله عليه وسلم – منهجُ الاعتقادِ ومنهجُ العبادةِ والسلوكِ بلْ كلُّ شأنٍ من شؤونهم هو خيرٌ كما أخبَرَ النبي – صلى الله عليه وسلم – فاختارَهُمُ الله – عز وجل – لصحبَةِ نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، فآمنوا بالله حقَّ الإيمانِ ، وخافوا اللهَ مخافةً لا تَعْدِلُها مخافةٌ وأحَبُّوا اللهَ ورسولَه والدينَ والإسلامَ والدعوةَ في سبيلِ الله والجهادَ في سبيلِهِ ، وتَحَشَّمُوا في ذلكَ أشدَّ أنواعِ الشدائدِ وهاجروا وتركوا أوطانَهم وبذَلوا الغالي والنفيسَ من النفسِ والمالِ وغيرِ ذلك، وهم خيرُ الناسِ من حيثُ العلمِ مع العملِ إذْ لا يعرِفُون عِلْماً دون عملٍ وهم خيرُ الناس في اتباعِ السنةِ والابتعادِ عن الابتداعِ في دينِ الله ومخالفةِ هديِ النبي – صلى الله عليه وسلم – وكلُّ ما يخطُرُ في بالِ المرءِ من الخيريةِ ومن الأفضليةِ ومن السَّبْقِ في محاسنِ الأخلاقِ ومن فضائِلِها ، كلُّ ذلك تجدُهُ لديهم رضي الله عنهم، فأكرَمَهُمُ الله سبحانه وتعالى بتأييدٍ منه سبحانَه ، وجعلَ فيهم من روائِعِ الخصالِ الْخَيِّرَةِ من العَدْلِ والتواضِعِ والزُّهْدِ والرحمةِ والصبرِ والورعِ وغيرِ ذلك من المحامدِ التي يضيقُ المقامُ لضبْطِها وبيانِها ، فحسبُنا قولُه[1] – صلى الله عليه وسلم – : " (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) [2].

أمهات المؤمنين من أهل البيت:

{ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) }، هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات خُرّج مخرج الغالب المؤمنات، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب

---

(1) محاضرات الدورة المفتوحة الأولى في الحديث الشريف وعلومه، الشيخ عاصم القريوتي حفظه الله، المكتبة الشاملة، 1/ 12.

2() البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضل الصحابة، باب ومن صحب النبي صلى الله عليه و سلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، رقم(2509).

النزول، وهي عائشة بنت الصديق، رضي الله عنهما، وقد أجمع العلماء، رحمهم الله، قاطبة على أن مَنْ سَبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن[1].

رابعاً: ما ذكره في مناقب بعض منهم:

1-أبو بكر الصديق

ومن أفضلهم نفساً، وأرجحهم عقلاً، وأرفعهم منزلة ومكانة، وأقربهم مجلساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه أبو بكر الصديق: يَقُولُ تَعَالَى: {إِلا تَنْصُرُوهُ} أَيْ: تَنْصُرُوا رَسُولَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافِيهِ وَحَافِظُهُ، كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ [إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ] } أَيْ: عَامَ الْهِجْرَةِ، لَمَّا هَمَّ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِ أَوْ حَبْسِهِ أَوْ نَفْيِهِ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ هَارِبًا صُحْبَةَ صدّيقه وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ. [2]"

2- الفاروق عمر بن الخطاب:

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) عن ابن عمر، عن عمر، قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أسارى بدر، وفي مقام إبراهيم[3].

وأورد عند قوله: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)(الأحزاب:53) هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب[4].

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: " لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا " قال: وسماني لك؟ قال: "نعم". فبكى[1].

([1]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ، 32/6.

[2]() المصدر السابق، 4/ 155

([3])المصدر السابق ، 1/ 416،رواه مسلم برقم (2399).

[4]() تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،، 6/ 450.

المبحث الثالث: ردود ابن كثير في ما أثير من شبهات حول الصحابة

أولاً: الكلام فيما شجر بينهم:

و قال الحافظ ابن كثير: "أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام، فمنه ما وقع عن غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذو وإن أخطأ، ومأجور أيضاً، وأما المصيب فله أجران اثنان[2]"

قال إمام عصره أبو زرعة الرازي من أجل شيوخ مسلم : "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق "[3] .

ثانياً: أقواله في التحذير من سبهم أو النّيل منهم رضي الله عنهم:

عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يحبون الصحابة ويترضون عنهم ولا يتكلمون في ما شجر بينهم ولا يذكرونهم إلا بخير.

---

[1]() المصدر السابق، 8/ 454.

[2]() الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل – تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1435 هـ ، 1/ 368,.

([3]) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيثمي، أحمد بن محمد بن محمد بن علي، تحقيق : عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ، 1997، 2/ 608.

يقول الطحاوي– رحمه الله – : ((ونحب أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا نفرط في حبِّ أحد منهم، ولا نتبرّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلاّ بخير، وحبُّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان[1])).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال: وأما ما شجر بينهم فالواجب الكف عنه، لأنهم إما مجتهدون مصيبون فلهم أجران، أجر اجتهادهم وأجر ما أصابوا فيه، وإما مجتهدون مخطئون فلهم أجر اجتهادهم والخطأ مغفور لهم[2] .

" قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في تفسير قول الله – عز وجل –: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } الآية، قال: ((فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم، أو سَبَّهم، أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر، والخليفة الأعظم أبا بكر ابن أبي قحافة – رضي الله عنه –؛ فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً بالله من ذلك ،وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم ،وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبّه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون" [3] .

([1])شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة المصرية الأولى، 1426هـ - 2005م، 1/ 467

([2]) عدالة السلف الصالح، برهان يقظتهم، بقلم: الشيخ سعد بن إبراهيم الخرعان، مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ع 13/ 322، انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – 1416هـ/1995م، 33/ 33

([3]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 2/ 467

قوله :{ليغيظ بهم الكفار} ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه، في رواية عنه، بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك، والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم[1].
قال تعالى: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون} أي قائلين {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا} أي بغضا وحسدا {للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم {ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم}[2] .

ثالثاً: في تقديمه للشيخين، وعثمان على علي– رضي الله عنهم

" وقد غلب عبارة كثير من النساخ للكتب أن ينفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه, وهذا وإن كان معناه صحيحا, لكن ينبغي أن يساووا بين الصحابة في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم, فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين[3] .

الخاتمة:

وتتضمن أهم نتائج البحث:

1. عرّف ابن كثير الصحابي أنه: من رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حال إسلام الراوي وإن لم تطل صحبته له، وإن لم يرو عنه شيئاً.

([1]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 4/ 247

([2])، المصدر السابق، 4/ 408

([3]) المصدر السابق، 3/ 623

2. وضّح ابن كثير أن الصحابة كلهم عدول وأن الله عز وجل زكاهم جمعياً دون استثناء.
3. بيّن بالأدلة القاطعة ابن كثير نهي الإسلام عن المساس بأحد من الصحابة، أو الإساءة إليهم، أو إيذائهم بأي نوع من أنواع الأذى، وأنه يجب الامساك عما شجر عن الصحابة فهم وإن كانوا أفضل الناس بعد الانبياء فهم غير معصومين المجتهد المصيب منهم له أجران، والمخطئ منهم له أجر واحد.
4. أكد ابن كثير أن الصحابة خطَ أحمر وخطر عظيم لأنهم حملة الوحي وأن الطعن فيهم طعن فيما نقلوه لنا من النصوص الشرع، وهدم الأساس هدم للبناء .
5. أثبت ابن كثير أنه من أبرز المفسرين المنافحين عن الصحابة بالمدح والثناء الترضي، وإبراز فضائلهم، وجهادهم، وتضحياتهم لأجل حماية الإسلام ونشره للعالمين .

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب والمصادر:

1. ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد (المتوفى: 792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة المصرية الأولى، 1426هـ - 2005م.
2. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - 1416هـ/1995م.
3. ابن حجر الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة تحقيق : عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ، 1997.
4. ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة - بيروت،1379هـ .
5. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، – تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1435 هـ.
6. إسماعيل بن عمر بن كثير(المتوفى : 774هـ) ، **تفسير القرآن العظيم** ، المحقق : سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999 م.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،صحيح البخاري، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت(الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987).

8. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة.

9. سعد بن إبراهيم الخرعان، عدالة السلف الصالح، برهان يقظتهم، ، مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،العدد الثالث عشر .

10. عاصم القريوتي محاضرات الدورة المفتوحة الأولى في الحديث الشريف وعلومه، المكتبة الشاملة.

11. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.